رئيس التحرير المسؤول
العميد منير عقيقي

تعبيد الطريق نحو الدولة "الولاء"

في زمن الأزمات والتحديات، لا تبنى الدول بالشعارات وحدها، بل بمنظومة قيم راسخة يأتي في مقدمها مفهوم "الولاء". الولاء ليس كلمة عاطفية تستخدم في الخطابات، بل هو قاعدة أخلاقية وسياسية تشكل الأساس الذي تعبّد به الطريق نحو قيام دولة حقيقية، قادرة على الاستمرار وحماية مواطنيها. من هنا، فإن مقاربة مفهوم "تعبيد الطريق إلى الدولة" تمر حكما عبر فهم عميق لمعنى الولاء الوطني.

الولاء الوطني، في جوهره، هو ارتباط الإنسان بالدولة التي يعيش فيها، ليس بوصفها أرضا فقط، بل باعتبارها كيانا سياسيا وقانونيا يحتضنه ويوفر له الحقوق والحماية. هو شعور بالانتماء يترافق مع التزام عملي تجاه هذه الدولة، بما تمثله من سلطات وادارة ومؤسسات. فلا يمكن الحديث عن دولة قوية وحديثة في ظل غياب ولاء حقيقي لمواطنيها، لأن هذا الولاء هو الذي يترجم في السلوك اليومي، في احترام القانون، وفي الحفاظ على النظام العام.

تكمن اهمية ترجمة الولاء في أن يكون بوصلته الدولة ومؤسساتها، لا الأشخاص الذين يتولون السلطة فيها. هذا الامر مهم لأن المسؤولين، مهما كانت مواقعهم، هم عابرون في الزمن السياسي والقضائي والمسار المؤسساتي، بينما الدولة تبقى الإطار الدائم والثابت. عندما يتحول الولاء إلى اشخاص، يختزل الوطن في فرد أو جماعة، وتفتح أبواب النفوذ والمحسوبيات. أما حين يكون الولاء للدولة كمرجعية معنوية، فإن المؤسسات تبقى المظلة الحاضنة للجميع، ويصبح تداول السلطة وتغيير الموظفين عملا دستوريا واجرائيا طبيعيا في تطبيق النظام العام.

من أبرز تجليات الولاء الوطني الالتزام بالقانون والدستور. فالولاء ليس موقفا نظريا، بل ممارسة يومية تبدأ من احترام القواعد التي تنظم حياة المجتمع. هو التعبير الحقيقي عن الانتماء. والدستور، بصفته العقد الجامع بين الدولة ومواطنيها، يشكل المرجعية العليا التي يجب أن يحتكم إليها الجميع. وكل إخلال بهذا الالتزام هو في جوهره إخلال بالولاء نفسه.

من معاني الولاء المحافظة على الدولة، ليس فقط من الأخطار الخارجية، بل ايضا من عوامل التآكل الداخلي. فالدولة لا تنهار فقط بسبب الحروب، بل أيضا بسبب الفساد، والإهمال والتقاعس الاداري. من هنا، فإن من مزايا الولاء واشكاله، حماية المال العام، المحافظة على الممتلكات العامة والخاصة، صيانة العتاد وتحديث البنى التحتية.

لا يكتمل مفهوم الولاء من دون التطرق إلى واجب الدفاع عن الدولة. الدفاع لا يقتصر على حمل السلاح في وجه الاعتداءات، بل يشمل أيضا الدفاع عن سيادتها وقرارها واستقلالها، إنه موقف يعبّر عن استعداد المواطن للتضحية لأن وجوده وكرامته مرتبطان بوجودها، ومن دون هذا الاستعداد تفقد الدولة أحد أهم عناصر قوتها.

يفرض الولاء الوطني عدم تقاسم الولاء مع دولة أخرى. فازدواجية الولاء تضعف الانتماء وتخلق تضاربا في المصالح، وقد تؤدي إلى تهديد وحدة الدولة. لا يعني ذلك الانغلاق او العداء للآخر، بل يعني وضوح العلاقة بحيث تكون مصلحة الدولة التي يعيش فيها الإنسان هي المرجعية الأولى في قراراته ومواقفه.

من المهم التمييز بين الولاء الوطني والولاء الشخصي. فالولاء الشخصي يقوم على العلاقات الفردية والمصالح الضيقة، وغالبا ما يكون مرتبطا بالزعامة أو القرابة أو الانتماءات الضيقة. أما الولاء الوطني، فهو اوسع وأشمل، لأنه يرتبط بالمصلحة العامة وبفكرة الدولة كإطار جامع. وعندما يطغى الولاء الشخصي على الولاء الوطني، تتحول الدولة إلى ساحة صراعات، وتضعف قدرتها على القيام بوظائفها الأساسية. لا يقتصر عبء الولاء على المواطنين وحدهم، بل يشمل أيضا المسؤولين الذين تقع على عاتقهم مسؤولية مضاعفة تبدأ بالالتزام بالقانون واحترام الدستور، وصولا الى وضع مصلحة الدولة فوق المصالح الخاصة.

إن تعبيد الطريق نحو الدولة لا يتم بقرارات فوقية فقط، بل ببناء ثقافة ولاء حقيقية، تبدأ من الفرد وتمتد الى المسؤولين. وحين يصبح الولاء للدولة قاسما مشتركا للجميع، يتحول الكيان الى دولة كاملة الاوصاف.

إلى العدد المقبل